



دعاء من جوامع كلم النبي الكريم

المحاضرات

محاضرة في الأردن

2023-02-27

عمان

الأردن

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وعملاً متقبلاً يارب العالمين، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن حول الشهوات إلى جنات القربات.

دعاء فيه جوامع الكلم:

وبعد: جاء في سنن النسائي بسند صحيح:

{ صَلَّى عَمَّازُ بْنُ يَاسِرٍ بِالْقَوْمِ صَلَاةً أَحَقَّهَا، فَكَأَنَّهُمْ أَكْرَهُهَا! فَقَالَ: أَلَمْ أُنِّمِ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ؟ قَالُوا: بلى، قَالَ أَمَّا أَنِّي دَعَوْتُ فِيهَا بِدَعَائِكَ يَا نَبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو بِهِ اللَّهُمَّ يَعْلَمُكَ الْغَيْبَ وَقَدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ أَحْيَيْتَنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَقَّفْتَنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي، وَأَسَأَلُكَ خَشْيَتِكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَكَلِمَةَ الْإِخْلَاصِ فِي الرِّضَا وَالغَضَبِ، وَأَسَأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَقِرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ، وَأَسَأَلُكَ الرِّضَاءَ بِالْقَضَاءِ وَبِرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَلَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّقَاقِ إِلَى لِقَائِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ ضَرَاءِ مُصْرَّةٍ، وَفِتْنَةِ مُضَلِّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَا بِرَبِيَّةِ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هِدَاةً مُهْتَدِينَ. }

(صحيح النسائي)

(صَلَّى عَمَّازُ بْنُ يَاسِرٍ بِالْقَوْمِ صَلَاةً أَحَقَّهَا) صلى صلاة بالناس فأخفها؛ أي جعلها خفيفة سريعة، لعلها ليست كما عهدوا منه أن يطيل في الصلاة (فَكَأَنَّهُمْ أَكْرَهُهَا) يعني استغربوا منها.

الدعاء في الصلاة:

(فقال: ألم أتمُّ الرُّكُوعَ والسُّجُودَ؟ قالوا: بلى) وكان عمار بن ياسر -رضي الله عنه- يعطينا هنا مقياساً لتمام الصلاة، الصلاة التي لا تُنكر على إنسان أن يتم ركوعها وسجودها، جاء بالركوع والسجود على وجهها الصحيح، وهما بالعادة ما يستعجل بهما الناس، فركع حتى استوى راعياً، ثم قام حتى استوى قائماً، ثم سجد حتى استوى ساجداً، وهكذا، يعني أقل الركوع سبحان ربي العظيم بتمامها، وكمالها: سبحان ربي العظيم، سبحان ربي العظيم، والأكمل: اللهم لك ركعت وبك أمنت ولك أسلمت، خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي وما استقل به قدمي، السجود: أقله سبحان ربي الأعلى، وكمالها: ثلاث مرات، وإذا زاد: "سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ ربُّ الملائكة والروح" نعم ما فعل، وإذا زاد: "سجد وجهي للذي خلقه فضوره وشق سمعه وبصره فتبارك الله أحسن الخالقين" فحسن لا سيما في صلاة الليل التي يُندب فيها الإطالة بالركوع والسجود.



مواطن الدعاء في الصلاة في السجود

(فقال: ألم أتمُّ الرُّكُوعَ والسُّجُودَ؟ قالوا: بلى، قالَ أَمَا أَنِّي دَعَوْتُ فِيهَا بِدَعَاءِ كَانِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو بِهِ) يعني هذه الصلاة التي استعزتم بسرعتها بالنسبة لما كان مني سابقاً كان فيها دعاء دعوت به، ربما دعا به في السجود أو قبل السلام، مواطن الدعاء في الصلاة في السجود.

قال: أكثروا الدعاء في السجود فقمين أن يستجاب لكم؛ أي جدير أن يستجاب لكم، أما الركوع: "فعضموا فيه الرب" بالركوع لا يدعو الإنسان، تعظيم لله.

{ أما الركوع فعضموا فيه الرب، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء، فقمين أن يستجاب لكم. }

(صحيح مسلم)

السجود:

{ أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد؛ فأكثروا الدعاء }

(صحيح مسلم)

ومن مواطن الدعاء: بعد الإفراغ من الصلوات الإبراهيمية وقبل السلام يدعو الإنسان بما شاء من خيري الدنيا والآخرة.

(قالَ أَمَا أَنِّي دَعَوْتُ فِيهَا بِدَعَاءِ كَانِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو بِهِ-الآن دخلنا فيما نريد الدخول إليه- اللَّهُمَّ بَعْلِمِكَ الْغَيْبِ وَقَدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ أَحْبَبِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي وَنَوَقْنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي، وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتِكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَكَلِمَةَ الْإِحْلَاصِ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْقُضُ، وَقَرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَاءَ بِالْقَضَاءِ، وَبِرَدِّ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَلِدَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ وَالشُّوقَ إِلَى لِقَائِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ ضَرَاءِ مُصْتَرَّةٍ وَفِتْنَةِ مَضْلِيهِ اللَّهُمَّ زَيْنًا بَرِيئًا الْإِيمَانَ وَاجْعَلْنَا هَدَاةً مُهْتَدِينَ) هذا دعاء النبي صلى الله عليه وسلم وهو من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم الذي جمع معانٍ كثيرة فيها معانٍ عظيمة في كلمات قليلة.

التوسل إلى الله:

(اللَّهُمَّ بَعْلِمِكَ الْغَيْبِ وَقَدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ): هذه الباء للتوسل؛ يعني يدعو الله اللهم أي بالله، الميم بدل من الباء لذلك لا يُقال: يا اللهم، إما أن يُقال اللهم، أو بالله، الميم بدل من باء النداء، وهذه الميم خاصة بلفظ الجلالة، فلا يُنادى أحد بالميم المشددة إلا الله، هذه من خصائص اللغة، فلا يقال لشخص اسمه بلال: بلال، وإنما يا بلال، هذا لا يُنادى به إلا المولى جل جلاله اللهم.



تتوسل إلى الله بأسمائه، أو صفاته

فقال: **(اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبِ)** هذه الباء للتوسل، يعني أتوسل إليك بعلمك الغيب، هذا النوع من التوسل لا خلاف على جوازها بل استحبابه وندبه، بمعنى أن تتوسل إلى الله بأسمائه وصفاته، فتقول: يا غفور اغفر لي، اللهم برحمتك ارحمني، اللهم بفضلك تفضل علي، اللهم أنت الرزاق فارزقني، تتوسل إلى الله باسم من أسمائه، أو بصفة من صفاته. وقد تتوسل إلى الله تعالى بحبك لنبيه، اللهم بحبي لنبيك فَرِّجْ عني ما أنا فيه، اللهم باتباعي لنبيك فَرِّجْ عني ما أنا فيه.

وقد تتوسل إلى الله بأعمالك الصالحة، فتقول: اللهم إن كنت تعلم أنني أطلعت هؤلاء المساكين لوجهك ففَرِّجْ عني ما أنا فيه، كما فعل الثلاثة الذين سُدَّ عليهم الغار فدعوا الله كل واحد منهم بصالح عمله، وفرج الله عنهم الصخرة فخرجوا يمشون، فالتوسل مشروع، وهذه الأنواع التي ذكرتها لا خلاف على جوازها بل على استحبابها وندبها، أن تتوسل إلى الله باسم من أسمائه، بصفة من صفاته، أن تتوسل إلى الله بحبك لنبيه، باتباعك لنبيه، أن تتوسل إلى الله بعمل صالح عملته، هذا التوسل لا خلاف في مشروعيته، فتوسَّلْ هنا -صلى الله عليه وسلم- إلى ربه بعلمه الغيب وقدرته على الخلق، قال: **(اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبِ وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ)** بشيء من اثنين من صفات الله: الصفة الأولى هي العلم، والصفة الثانية هي القدرة.

العلم والقدرة:

والله تعالى له صفات وله أسماء، من أعظم أسمائه وصفاته: العليم القدير، العلم والقدرة، العلم والقدرة صفات، والعليم والقدير أسماء، كقوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا
(12)

(سورة الطلاق)



التزام الإنسان بمنهج الله تعالى

هاتان الصفتان من أجلهما خلق الله السماوات والأرض، لنعلم هاتين الصفتين، لماذا؟ لأن الإنسان إذا أدرك أن الله تعالى يعلم ويقدر فإنه يلتزم بمنهجه، هَبْ أنك تقف على إشارة مرور، والإشارة حمراء وأنت بسيارتك، وأنت مواطن من الدرجة العادية، لست مواطناً من الدرجة الأولى التي تُباح لك فيها تجاوز القوانين، والساعة الثانية طهرًا، والصابغة موجودة، والشرطي واقف، والسيارة موجودة، والقانون مخالفة بمبلغ كبير، وربما سحب الشهادة لمن يقطع الإشارة أو يخالف، ما فلسفة ذلك؟ لماذا لم تقطع الإشارة وأنت على عجلة من أمرك، والطريق الثاني لا يوجد فيه سيارات تؤذيك، لا يوجد ولا سيارة، لماذا لم تقطع؟ أدركت أن علم من وضع القانون يصل إليك عن طريق هذا الشرطي الذي وضعه وزير الداخلية، وأدركت أن قدرته تصل إليك، لأنك لست فوق القانون فوقفت، من الذي يقطع الإشارة؟ أحد من الناس أدرك أن علم واضع القانون لا يصل إليه، الساعة الثالثة فجرًا لا يوجد كاميرات ولا شرطة، فأدرك أنه لن يمسك به أحد فأقلت من الإشارة، الثاني أدرك أن قدرة واضع القانون لن تطوله؛ لأنه يرى نفسه فوق واضع القانون، أي عنده واسطة كبيرة، أما المواطن الملتزم لا يقطع الإشارة لهذين السببين، بالعمق، دعك من الالتزام بالقوانين أتحدث عن مواطنٍ عادي، لأنه أدرك أن العلم بطوله، والقدرة تطوله فتوقف عن الفعل، فتنحى في كون الله **(الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا)** لماذا لا نعصيه مع قدرتنا على المعصية؟ فقد أعطانا الله القدرة على الفعل وترك الفعل لأننا مكلفون، لماذا لا أنهي ما حرم الله؟ لماذا إذا أتينا -لا سمح الله- عدنا فوراً إلى الله؟ لأننا ندرك أن الله يعلم ما نفعله:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى (14)

(سورة العلق)

وندرک أنه قدیر علینا فی الدنیا و فی الآخرة، نحن فی قبضته:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ **وَالَّذِي يُرْجِعُ الْأَمْزُ كُلَّهُ فَأَعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ** وَمَا رَبُّكَ
بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (123)

(سورة هود)

أنواع الغیب:



تخصیص العلم بالغب

فهنا أیها الأحباب قال: **(اللهم بعلمك الغیب وقدرتك علی الخلق)** توصل إلى الله بعلمه وبقدرته، وخصّ العلم بالغب؛ لأنه الشیء الذي كثيراً ما یغیب عن الناس، عالم الشهادة واضح، لكن الناس ما الذي یغیب عنهم؟ أن الله یعلم الغیب، الدلیل أن الإنسان كثيراً ما یلتزم بالتعلیمات وهو مع الناس، لكن یخالف التعلیمات عندما یخلو بحرمات الله، یعنی لم ینتبه إلى عالم الغیب، فقال **(اللهم بعلمك الغیب)**.

1. الغیب المطلق:

وبالمناسبة الغیب نوعان أیها الكرام؛ غیب مطلق، وغیب نسبی، الغیب المطلق: ما غاب عنك وعن غیرك نهائياً، هذا غیب مطلق، بمعنى أنه ماذا سیحصل غداً هذا غیب مطلق، هل سنكون غداً أحياء؟ غیب مطلق، لا أحد یستطیع أن یعطیک كلمة أنك ستكون حياً غداً طيلة النهار 24 ساعة، ولا إنسان یستطیع القول، ولا أمهر طیب فی الأرض ولو فحص كل الفحوصات، لا أحد یستطیع أن یعطیک كفالة لتعیش دقیقة واحدة، هذا غیب مطلق، لا یعلم الغیب إلا الله.

2. الغیب النسبی:

وهناك غیب نسبی، نحن الآن فی هذه الغرفة لا ندري ماذا یجری فی الشارع خارجها، فهو غیب عنا، لكنه لیس غیباً عنمن یقف الآن فی الشارع، هذا غیب نسبی، مثله تماماً أن یقول لك مثلاً: استطاع الطب أن یمیز الذکر من الأنثی فی الشهر الرابع بعد 120 يوماً من الحمل، هذا لیس غیباً مطلقاً، هذا غیب نسبی عندما اكتشفت جهاز یستطیع أن یصوّر وراء الرجم ویخترق الجدر علمنا، هو موجود ومعلوم ولكن ما كان هناك جهاز یستطیع أن یصوره، فلما اكتشفت الجهاز علمنا، هذا من الغیب النسبی و لیس من الغیب المطلق، فعلى كل: **(اللهم بعلمك الغیب وقدرتك علی الخلق)** مثله علم الطقس؛ نقول غداً یوجد منخفض جوی، هو لیس غیباً، فالغیوم قادمة، والرياح متوجهة، وإن لم یتغير مسارها فستصل غداً، فیقول لك الاحتمال الأكبر 99% غداً یوجد منخفض إلا إذا عبرت اتجاهها، فلما كُشفت الأجهزة الحديثة علمت ما كان خافياً عنها فی لحظة ما الذي هو فی الأصل لیس غیباً، أما قبل أن تتحرك الغیوم، وتتحرك الرياح كان غیباً مطلقاً لا أحد یعرفه حتى یأتي بإذن الله جل جلاله.

الحياة والموت ید الله:



الله تعالى هو الذي يحيي ويميت

(اللَّهُمَّ بَعْلِمِكَ الْغَيْبَ وَقَدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ) على الخلق جميعاً كل ما خلق الله من الإنس جميعاً والجن والنبات والحيوان، قال: **(أحيني ما علمت الحياة خيراً لي وتوفيني إذا علمت الوفاة خيراً لي)** هذا من علم الغيب -أحياناً الكرام- ومن القدرة، القدير هو الذي يحيي ويميت، **(أحيني ما علمت الحياة خيراً لي وتوفيني)** لأنه قدير على ذلك، من يملك الإحياء والإماتة إلا الله **(بعلمك الغيب)** لأننا لا نعلم إذا كانت الحياة خيراً لنا، أو الموت خيراً لنا بعد أيام، لا ندري ماذا نخير لنا الأيام كما يقال، هذا قدر، فلذلك **(اللَّهُمَّ بَعْلِمِكَ الْغَيْبَ وَقَدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ)** هذا مناسبة التوسل، لماذا قال بعلمك الغيب ؟ لأننا لا ندري إذا كانت الحياة خيراً لنا أو لا بعد حين، **(وقدريتك على الخلق)** لأن الله تعالى وحده هو من يحيي وهو الذي يميت:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ "أحيني ما علمت الحياة خيراً لي وتوفيني ما علمت الوفاة خيراً لي" رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (258)

(سورة البقرة)

اليمرود تأوّل الإحياء والإماتة بأنه يأمر بإعدام إنسان فيُعَدَم، أو يعفو عنه بعد أن أمر بإعدامه فيحييه، تأوّلها، وتؤلّه ليس صحيحاً لأنه ليس الفعال، هو يفعل يأمر الله، لكن لأنه تأوّل علمنا القرآن أنك إذا وجدت مُتَأَوِّلاً اتجه فوراً إلى مسألة أخرى، لا تتجارى معه في تأويلاته **قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ** لن أناقشك، أنت تتأوّل أنك تحيي وتميت كما تريد، سأعطيك آية ثانية مباشرة **فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ صفة من صفاته لا يمكن أن يتأوّلها، الأولى تأوّلها، فإذا كنت في حوار مع إنسان، ووصل معك إلى أنه تأوّل كلامك تأوِّلاً غير مقبول، لا تستمر معه، واذهب إلى أمر آخر لا يحتمل التأويل هذا أولى في الحوار، قال:**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
** "وَتَلَكَّ حُجَّتْنَا أَتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (83)**

(سورة الأنعام)

فقال: **(أحيني ما علمت الحياة خيراً لي وتوفيني إذا علمت الوفاة خيراً لي)** لا نعلم إن كانت الحياة فيها خير أو الوفاة أحياناً فيها خير، الوفاة فيها خير أحياناً؛ لأن الإنسان قد يُفْتَن بعد حين فيتوفاه الله تعالى إليه وهو على الإيمان، فيدخله جنة عرضها السماوات والأرض، والحياة أحياناً فيها خير إذا كان سينزى في العمل الصالح، ويزيد في الطاعات، ويزيد في البر، ويزيد في الصدقات؛ لأن الإنسان يندم عندما يأتيه الموت، يقول:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
** "قَالَ رَبِّ ارْحَمْنِي (99) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْحٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (100)**

(سورة المؤمنون)

فالحياة خير إذا كان فيها عمل صالح، والوفاة خير إذا كانت دريئةً لئلا يستمر الإنسان في معصية، أو يقع في معصية وفتنة.

خشية الله هي الأساس:

(وَأَسْأَلُكَ خَشِيَّتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) أن يخشى الإنسان ربه في الغيب والشهادة، ولا في الغيب، لأنه كما قلت غالباً الناس كما قال صلى الله عليه وسلم عن أقوام:

{ لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَّنْثُورًا. } قَالَ تُوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا أَلَّا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ، قَالَ: «أَمَّا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جَلْدِيكُمْ،» وَتَأْخُذُونَ مِنْ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا

(صحيح المسند)



كفى بالمرء علماً أن يخشى الله

يعني هو في خلواته ينتهك المحرمات، في جلوته أمام الناس بحكم العادة الإجتماعية، وبحكم وجود أناس يراقبونه يلتزم بما تعارف عليه الناس ببلده، قال: (لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَّنْثُورًا. } قَالَ تُوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا أَلَّا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ، قَالَ: «أَمَّا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جَلْدِيكُمْ، وَتَأْخُذُونَ مِنْ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا) وكلمة انتهكوها تشير إلى أنهم يفعلون ذلك تكبراً وغلواً وليس غلبة أو ضعفاً، هذا الانتهاك للمحرمات والعبادات بالله- لأنه عندما تغيب أعين الرقباء يفعل ما خشي أن يقوم به أمام الناس.

(وَأَسْأَلُكَ خَشِيَّتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ
الْعُلَمَاءُ ﴾ ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (28)

(سورة فاطر)

أي العلماء وخدمهم هنا يخشون الله، "كفى بالمرء علماً أن يخشى الله، وكفى به جهلاً أن يعصي الله"، والله يا أحاب، لو كان إنسان معه أعلى شهادة في الأرض في أعلى علم، وكان يعصي الله ولا يبالي، ولا يتوب، ولا يرجع إلى ربه، وآخر أمي لا يقرأ ولا يكتب، لكنه يسأل ابن الله إذا أراد أن يعصي الله يراقب الله، فإن الثاني أفضل من الأولي، لأن الإنسان العالم هو الذي يخشى الله، الثاني عالم والأول جاهل، العلم مطلوب، العلم الدنيوي مطلوب، أحياناً يكون فرض كفاية، أحياناً يكون فرض عين، هذا ليس انتقاصاً من العلم الدنيوي، لكن الأصل هو خشية الله، وكل شيء بعدها ينفع من علوم الدنيا، أما إذا كان دون خشية فمصيبة كبيرة.

معنى الإخلاص:



التزام الإنسان بتوحيد الله تعالى

(وَأَسْأَلُكَ خَشِيَّتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَكَلِمَةَ الْإِخْلَاصِ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ) وفي رواية: (وَكَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ) كلمة الإخلاص؛ قال بعضهم هي كلمة التوحيد، أن يلتزم الإنسان بتوحيد الله تعالى في رضاه وفي غضبه، أحياناً الناس في الغضب يخرجون عن التوحيد، أو كلمة الإخلاص هنا بمعنى الحق، وهو الأرجح بمعنى أن يقول الإنسان كلمة الحق عند رضاه وعند غضبه، أحياناً أب تأتبه ابنته وهي مذنبية ويعلم أنها مذنبية، وتشتكي على زوجها، ويعلم أن صهره رجل فاضل، وأن هذه الشكوى تدمر منها غير صحيح، فيغضب لابنته ولا يقول كلمة الحق، فهذا لم يلتزم بكلمة الحق، وأحياناً الأم في البيت تعامل ابنتها معاملة، وكتتها معاملة أخرى فإذا غضبت تغيرت المعاملة، فالأصل أن الإنسان في كل حال كما أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم أن نقول كلمة الحق لا نخشى في الله لومة لائم، فالإنسان سواء كان راضياً أم غاضباً ينبغي أن يلتزم كلمة الحق، كلمة الإخلاص، كلمة التوحيد، فلا يخرج غضبه عن الحق.

الأصل نعيم الآخرة:

(وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ) لا ينفد؛ أي لا ينتهي، ليس له انقطاع، أحد الشعراء قال:

فالنبي صلى الله عليه وسلم قال:

{ أشعُرُ كَلِمَةٍ فَالْتَهَا الْعَرَبُ كَلِمَةٌ لَبِيدٌ: أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا حَلَا لِلَّهِ بَاطِلٌ }

(أخرجه البخاري)

ولم يتابع البيت؛ لأن الثانية غير صادقة، الأولى صادقة أما الثانية غير صحيحة "وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلٌ" لا، لأن "كل" لفظ ألقاط العموم وهناك نعيم الجنة، ونعيم الجنة لا ينفد، يعني شيء جميل أن يكون الإنسان في الدنيا في نعيم، وهذا إذا كان في إيمان وفي طاعة ممتاز، وإذا كان في معصية فهو وبال، لكن الإنسان ما النعيم الذي لا ينفد؟ نعيم الآخرة، ومن الأدعية الجميلة "اللهم اجعل نعيم الآخرة متصلة بنعيم الدنيا"، لكن الأصل هو نعيم الآخرة، لذلك يُؤتى يوم القيامة بأنعم أهل الدنيا، أكثر رجل نعيماً في الدنيا؛ قصور وبيوت وأموال وسيارات، وجاه ومنصب، نعيم، فيغمس في النار غمسة فيقول: لم أرَ خيراً قط، ويؤتى بأبأس رجل، أو أشد الرجال بؤساً في الدنيا، يعني سجون وقهر وتعذيب ربما، أكثر رجل بؤساً فيغمس في الجنة غمسة ثم يُخرج فيقال له هل رأيت بؤساً قط؟ لا والله لم أر بؤساً.

{ يُوْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنَ الْكُفَّارِ، فيُقَالُ: اغْمِسُوهُ فِي النَّارِ غَمْسَةً، فيُغَمَسُ فِيهَا، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: أَيِ فُلَانٍ هَلِ أَصَابَكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ }

فيقول: لا، ما أصابني نعيم قط، ويؤتى بأشدَّ المؤمنين صرّاً، وبلاءً، فيقال: اغْمِسُوهُ غَمْسَةً فِي الْجَنَّةِ، فيُغَمَسُ فِيهَا غَمْسَةً، فيقال له: أَيِ فُلَانٍ

هَلِ أَصَابَكَ صُرٌّ قَطُّ، أو بلاءً، فيقول: ما أصابني قطُّ صرٌّ، ولا بلاءً. }

(صحيح ابن ماجه)

فذاك هو النعيم، نعيم الآخرة، نعيم الدنيا ينقطع بالموت، أما النعيم الذي لا ينفد فهو نعيم الآخرة، لذلك قال (وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ).

أنواع قرة العين:

(وَقَرَّةٌ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ) قرة العين ما تفر بها العين، (وَقَرَّةٌ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ) العين كيف تفر؟ بالسكون، تسكن، قرة العين سكونها، رينا -عز وجل- في القرآن قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالَّذِينَ يَقُولُونَ "رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (74)

(سورة الفرقان)



قُرَّةُ الْعَيْنِ، لَا يَعْرِفُهَا إِلَّا مَنْ ذَاقَهَا

يعني في ذلك الآباء والأزواج، يعني إذا نظر إلى زوجته سرتة، إذا غاب عنها حفظته، إذا أمرها أطاعته، فيجد فيها قرة العين، يدخل إلى البيت فيقول هي قرة عيني، ويجد الأب ذلك والام في أبنائهم، عندما يرى ابنه صالحاً، يصلي، متعلم، ليس كأبناء الطرقات يطلق الكلام البذيء أو الفاحش، تفر عينه به، الولد الصالح قرة عين، فقرة العين لا يعرفها إلا من ذاقها، والنبي صلى الله عليه هنا يسأل الله قرة العين التي لا تنقطع، وقيل في تفسير الحديث: قرة العين هي الذرية الصالحة، لأنه لا ينقطع أجرها بموت الرجل، أو المرأة وإنما يستمر بعد ذلك إلى أبد الأبد، (وقرة عين لا تنقطع) كل ما تفر به العين، وأهمها الذرية الصالحة، لكن تفر العين أحياناً بالطاعة، تفر العين بالعمل الصالح، تفر العين بالإتفاق، كل شيء يكون فيه سرور النفس فهو قرة للعين.

الرضا بقضاء الله:



الرضا بقضاء الله تعالى نعيم

(وَأَسْأَلُكَ الرَّضَاءَ بِالْقَضَاءِ وَبِرَدِّ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ) الرضا بالقضاء -أحبائنا الكرام- من أعظم ما يَمَنَّ اللهُ تعالى به على عباده، "اللهم رضنا بالقضاء"، يعني الرضا بالقضاء نعيم والله، من رضي فله الرضا، ومن سخط فعليه السخط، أكبر مصيبة بالرضا تهون، وأصغر مصيبة بغير الرضا تعظم، الرضا بالقضاء أن ترضى بما قضاه الله تعالى وقدره، سواء كان موافقاً لما تحب، أو لم يكن موافقاً لما تحب؛ لأنك تعلم أن الله تعالى ما عنده إلا ما يصلحك وما فيه الخير لك.

(وَبِرَدِّ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ) يعني في الدنيا -أحبائنا الكرام- إذا كانت أيام ربيعية، وليس هناك البرد الشديد الزمهرير الذي يجمد الأطراف، ولكن هواء عليل، فالإنسان يُسِرُّ يقول جلسنا على السطح كان الهواء جميل جداً، سُررنا سروراً عظيماً (وَبِرَدِّ الْعَيْشِ) المقصود هنا في الحديث بعد الموت، يوجد حياة البرزخ بعد الموت، ثم الحياة الآخرة، فبرد العيش أي هوائها، عيش هائئ بعد الموت.

رؤية الله يوم القيامة:

(وَلِدَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ) هذا جمع خبري الدنيا والآخرة، في الدنيا نشاق إليه، وفي الآخرة نسعد بالنظر إليه، يُقال لذة؛ لأن النظر إلى وجه الله الكريم يكتنفه حالان: **الهيبة والسعادة معاً**، يعني أنت اليوم إذا كان هناك شخص تحبه وتُعظمه معاً، ولم تره في حياتك، ثم أتيتك به، فنظرت إليه تقول سررت أبداً سرور، لكن في الوقت نفسه قلبي كان يطرق مهابة، فاللذة أحياناً يخالطها شعور الهيبة، لما قال (وَلِدَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ) الكريم المقصود تلك السعادة التي أجدها رغم ما في هذا الموقف من جلاله وربهية، (وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ فِي الدُّنْيَا)، نحن نشاق إلى لقائه، ثم نسعد برؤيته، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْخَيْرَ وَزَادَهُمْ فِيهَا حَالِدُونَ (26) وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ

(سورة يونس)

الحسنى: هي الجنة، والزيادة: هي النظر إلى وجهه الكريم، وأعظم ما في الجنة النظر إلى وجهه الكريم، إلى وجه الحبيب جل جلاله، قال صلى الله عليه وسلم:

{ إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تَضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ. }

(صحيح البخاري)

فرؤية الله يوم القيامة حق، في الدنيا لا نستطيع أن نراه، قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَخَلَّى بَيْنَهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ بُنْتُ إِلَهِكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (143)

(سورة الأعراف)

ولكن في الآخرة النظر إلى وجهه الكريم حق.

لا ضرر ولا ضرار:

(وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ ضَرَاءٍ مُضِرَّةٍ وَفِتْنَةٍ مُصَلِّئَةٍ) الضراء ما فيه ضرر للإنسان، والمُضِرَّة التي تلحق الضرر بالإنسان، فهي ضراء وتلحق الضرر بالإنسان، كقوله صلى الله عليه وسلم:

{ لا ضرر ولا ضِرَار }

(النووي)

يعني لا ضرر على النفس، ولا إضرار بالغير، (لا ضرر ولا ضِرَار)، (ضِرَاءٌ مُضِرَّةٌ) شيء فيه ضرر، ويُلقق الضرر بالآخرين، هل هناك ضراء غير مضرة؟ ربما، كم من إنسان أصابته ضراء، ثم علم أنها ليست مُضِرَّة، وإنما كانت نافعة، ربما ضارة نافعة، "ربما أعطاك فمضرك، وربما منعك فأعطاك"، كما يقول ابن عطاء الله السكندري، يعني أحياناً المنع هو ضراء، ثم يكتشف الإنسان أنه كان عين العطاء؛ لأن الله أعطاه من جانب آخر أشياء أخرى بحجم هذا الشيء، فيجد أن هذه الضراء لم تكن مضرة.

الفتنة قد تكون للهداية أو للضلال:



الفتنة يعني الاختبار

(وفتنه مصلية) أيضاً الفتنة ليست دائماً مُصَلِّة، الفتنة يعني الاختبار، فإذا كان هناك إنسان في الجامعة تقدّم للاختبار وخرج، وصديقه تقدم للاختبار وخرج، أحدهم كتب وقال أنه بأخذ 90%، والثاني كتب قال لا أخذ 10%، فالأول فتنته كانت هادية له، الثاني فتنته كانت مصلية له، فهناك فتنة غير مصلية، فهذا الوصف ليس وصفاً لازماً، وصفاً احترازياً لأن الإنسان إذا اختبر فنجح فهذا الاختبار، وتلك الفتنة ليست ضللاً له وإنما هداية، لأن الله هداه إليه بهذه الفتنة، كم من إنسان مرض فرجع إلى الله بمرضه، كم من إنسان افتقر فشرع بفقره لله تعالى فعاد إليه، فلم تكن تلك الفتنة وذاك الاختبار إضلالاً له، بل كان هداية، لذلك قال: (وأعوذ بك من صرّاءٍ مُصْرَّةٍ وفتنةٍ مصليةٍ).

كليات الإيمان:

ثم ختم صلى الله عليه وسلم بقوله: (اللَّهُمَّ رَبَّنَا بَرِّئْنَا مِنَ الْإِيمَانِ وَاجْعَلْنَا هِدَاةً مُهْتَدِينَ) (اللَّهُمَّ رَبَّنَا بَرِّئْنَا مِنَ الْإِيمَانِ) جعلنا بجمال الإيمان، الإيمان -أحبائنا الكرام- ثلاث كليات: كلية معرفية، وكلية سلوكية، وكلية جمالية.

1. الكلية المعرفية:

فالمؤمن يعرف أن الله -سبحانه وتعالى- واحد، كامل، هناك يوم آخر، هناك قضاء قدر، والإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، والقدر خيره وشره من الله، هذه الكلية المعرفية.

2. الكلية السلوكية:

الكلية السلوكية: الأن يتحرك وفق إيمانه، فلا يظلم، لا يغش الناس، لا يغتاب الناس، يؤدي الصلوات، يجتنب المحرمات، هذه الكلية السلوكية، معرفية وسلوكية.

3. الكلية الجمالية:



جمال الإيمان يؤدي إلى سكينته في القلب

وهناك كلية أخرى جمالية، هي جمال الإيمان هذه تؤدي إلى سكينته في قلبه، راحة في ضميره، تؤدي إلى نور في وجهه، تؤدي إلى محبته للناس، ومحبة الناس له، هذه كلية جمالية، فالإيمان معرفة وسلوك وجمال، فهنا قال: (اللَّهُمَّ رَبَّنَا بَرِّئْنَا مِنَ الْإِيمَانِ) التي هي النتيجة الحتمية للمعرفة والسلوك، فمن عرف الله تعالى حقاً واستقام على سلوكه، تزين بزينته الإيمان، والله أحياناً تنظر إلى وجه الإنسان، يعني إذا رُؤوا ذكر الله من تواضعه، من بهاء وجهه، من النور الذي يلقيه الله في وجهه، أحياناً تنظر إلى إنسان ظالم والعياذ بالله، تقول وجهه لا أستطيع النظر إليه، مُسود والعياذ بالله، فالإيمان له نور يعرفه أهل الإيمان، أهل الإيمان يعرفون كل هذا، فهذا هو جمال الإيمان قال (اللَّهُمَّ رَبَّنَا بَرِّئْنَا مِنَ الْإِيمَانِ) لا تكون زينة الإيمان إلا بعد الإيمان، نحن نريد أن نزين هذه الغرفة، هل نستطيع أن نزينها بلا وجودها، إذا زينة الإيمان يعني هناك إيمان.

الدعاء:

نسأل الله أن يجعلنا من الصالحين المصلحين، الهداة المهتدين، الذين يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، اهتدوا فتحركوا لهداية الخلق، والإنسان ما أن يهتدي إلى الله -عز وجل- حتى يحب نقل الخير إلى الناس، لأنه وجد نور الإيمان، وجد حلاوة الإيمان، وجد نتائج الإيمان المبهرة، وما يحققه الإيمان له من سعادة في الدنيا والآخرة، ومن سكينته في الدنيا والآخرة، فيتحرك من أجل أن ينقل للناس ما عنده من خير، لأنه يحب لأخيه ما يحب لنفسه، فيكون من الهداة المهتدين.

والحمد لله رب العالمين

نور الدين الاسلامي